الفصل الثامن

اليونان في العهد الإيطالي

المورة[1] تحت هيمنة آل آنجو

كنا قد رأينا (الفصل السابع ، الفقرة 2) كيف أن أمير المورة گيوّم دى ڤيلاردوان قد قدّم فروض الطاعة لملك صقلية شارل دانجو (عام 1267 م) ، وزوج ابنته ووريثته إيزابيل من أحد أبناء هذا الملك . لقد أدّت هذه العملية إلى جعل الإمارة الفرنجية مجرد تابع بسيط لأسرة ناپولي الأنجوية .

عقب وفاة والدها ، أمست إيزابيل أميرةً للمورة تحت حكم بلاط ناپولي (1278–1307 م) . وعندما ترمّلت تزوجت مجدداً من فلوران دى إينو Florent de Hainaut الذي أشركته بالعرش (1289–1297 م) ، ثم تزوجت من فيليپ دى ساڤوا Philippe de Savoie الذي أشركته في عرشها بالمثل (1301–1307 م) . ثم في عام 1307 م انتزع بلاط ناپولي الإمارة منها ، ولكن عهد به فيما تلا إلى ابنتها ماتيلد دى إينو Mathilde de Hainaut (1313–1318 م) .

في عام 1318 م استعادت أسرة ناپولي الحاكمة حكم المورة من جديد ، التي عوملت من قبل هذه الأسرة بازدياد كمجرد مستعمرة بسيطة . وبعد عهد آخر أميرة كانت على الأقل مقيمة بعض الشيء ، وهي كاترين دى ڤالوا Catherine de Valois (1333–1346 م) ، لم يحكم المورة سوى متصرفين إيطاليين مؤقتين ، مرسلين من ناپولي . وصارت هذه الإمارة ، التي كانت بالأمس القريب فرنسية محضة تأخذ الصبغة الإيطالية شيئاً فشيئاً ، في حين أن السلطة المركزية بدأت تضمحل في نفس الوقت ، وبدأت البلاد تعاني من الإهمال وتغرق في مستنقع التفرقة .

---

(1) المورة شبه جزيرة في القسم الجنوبي من بلاد اليونان ، تعرف قديماً بالپيلوپونيز .

وفي الختام ، سقطت المورة في قبضة «عُصبة كبرى» من قطاع الطرق ، وهي العصبة الناقارية (1382–1402 م) ، ثم انتقلت إلى مغامر إيطالي ، هو تْشِنْتوريونه زاكاريّا الجَنَوي Centurione Zaccaria (1404–1428 م) .

بيد أن البيزنطيين ، الذين استقرّوا مجدداً بدءاً من عام 1262 في لاكونيا (ومركزهم كان ميسترا) ، اغتنموا هذا الانحدار فاستعادوا من اللاتيين كامل القسم الشرقي من البيلوپونيز ، وردّوهم على أعقابهم إلى آخايا وإلى إليدا وميسينا . ثم بين عامي 1417 و 1430 م ، أفلحوا في انتزاع هذه الأقاليم الثلاثة من تشنتوريونه زاكاريّا ومن الإقطاعيين الإيطاليين المحليين الآخرين .

في عام 1430 م كانت كل البيلوپونيز تقريباً ، فيما عدا المرافئ البندقية كمودون وكورون ، قد عادت يونانية كما كانت . كانت تلك ردّة هيلينية ناجحة ، ولكنها كانت مع ذلك قصيرة الأجل : إذ في عام 1460 م سيكون مصيرها السقوط في أيدي الأتراك العثمانين .

دوقات أثينا الفلورنسيون

في حين أضحت إمارة المورة الفرنسية القديمة تابعة لمملكة ناپولي ، سقطت دوقية أثينا وطيبة الفرنسية القديمة ، كما شاهدنا (الفصل السابع فقرة 3) ، تحت سيطرة «العصبة القطلانية الكبرى» (1311–1387 م) ، ثم انتقلت إلى أيدي أسرة آتشايُوولي Acciaiuoli الفلورنسية .

كان آل آتشايُوولي يتعانون الصرافة في فلورنسا تحت خدمة بلاط ناپولي الذي منحهم في المورة تحديداً (عام 1358 م) إقطاعية كورنثا . وقام أحدهم ، وهو نيريو الأول Nerio I^er المتميّز ، بانتزاع دوقية أثينا وطيبة من أواخر القطلانيين (عام 1387 م) . «لقد ساقه طالعه الزاهر من فلورنسا إلى أكروكورنثا ، ومن الأكروكورنثا إلى أكروپول أثينا» . وعقيب البلبلة التي تلت وفاته (عام 1394 م) لم يلبث ابنه غير الشرعي الحازم أنطونيو الأول Antonio I^er أن أضحى ، هو الآخر ، دوقاً لأثينا ولطيبة (1402–1435 م) .

إن نيريو وأنطونيو آتشايُوولي كليهما ، هذين الفلورنسيين من القرنين الثالث عشر أو الرابع عشر اللذين دُعيا ليحكما إقليم أتيكا ، يذكراننا بآل

ميديتشي Médicis . فتحت حكومتهما الواعية أضحت أثينا كفلورنسة ثانية . لقد كانا بالحق من زعماء النهضة ، ومن كبار مشجعي الفنون والآداب ، محبين لليونان ، أو بالأحرى كانا من حيث الثقافة نصف يونانيين .

اتخذ الدوق أنطونيو مكان إقامته في البروبيليه Propylées ، فكانت له دويرة[1] كبرى بالقرب من نبع كاليرويه Callirrhoé ، أحاط نفسه فيها بالفلاسفة والمتأدبين مثل خالكوكونديل Chalcocondyle . ولكن بلغ الأتراك أيضاً ذاك الموضع : ففي عام 1458 م انتزعوا أثينا من أواخر حكامها بني آتشايُوولي .

المستعمرات البندقية والجنوية

لدى اقتسام الإمبراطورية البيزنطية بين صليبيي عام 1204 م ، كانت جزيرة أوبيه Eubée ، التي دعيت آنذاك نيگريون ، من نصيب بعض السادة الذين يعود أصلهم إلى ڤيرونا وهم آل كارتشيري Carceri ، فاقتسموها فيما بينهم مثالثة ، مما أعطاهم لقب «المثاليث» terciers (عام 1205) . واعتباراً من عام 1209 انضووا تحت حماية البندقية التي خلال سنوات 1276-1296 ، آزرت المثاليث في الدفاع عن أنفسهم ضد محاولات الهجوم البيزنطي المعاكس . وبقيت البندقية هي المسيطرة على الجزيرة حتى أوان الغزو العثماني (احتلال نيگريون أي خالكيس Chalcis القديمة ، على أيدي الترك من البنادقة ، 12 تموز 1470 م) .

كان من المفروغ منه ، ما بعد عام 1204 م ، أن جميع جزر الأرخبيل اليوناني وقعت في حصّة البنادقة ، ولكن هؤلاء لم يقوموا بحكمها مباشرة باسم مقاطعة سان ماركو . لكنهم وزّعوها بشكل إمارات ذات حكم ذاتي على أسرهم النبيلة ، مثل آل سانودي Sanudi ، وآل گيزي Ghisi ، وغيرهم . فنال آل سانودي الجزيرة الرئيسة ، ناكسوس Naxos ، باللقب الدوقي ، بينما حصل آل گيزي على تينوس Tinos وميكونوس Mykonos ؛ وحصل واحد من أسرة داندولو Dandolo على جزيرة آندروس Andros ، وحصل آل باروتسي Barozzi على جزيرة سانتورين Santorin ، إلخ .

---

(1) دويرة villa هنا ليست تعني هنا بالمفهوم المتداول بيتاً ريفياً ، وإنما تجمعاً سكنياً صغيراً في موقع ريفي خارج المدينة . وكلمة ڤيلا باللاتينية تعني أصلاً الريف .

أما «دوقية ناكسوس» التي تأسست بذلك ، فقد بقيت لأسرة سانودو من عام 1207 إلى 1383 م ، ثم آلت إلى أسرة كريسپو Crispo من عام 1383 إلى 1566 . وكانت حماية جمهورية البندقية في البدء متراخية يعض الشيء في القرن الثالث عشر ، لكنها أضحت فيما تلا شيئاً فشيئاً أكثر فاعلية تبعاً لتصاعد الخطر التركي . ثم في عام 1566 ، ورغم جهود البندقية ، تم للعثمانيين احتلال جزيرة ناكسوس .

وعلى النقيض من جزر الأرخبيل ، طُبّق على جزيرة كريت Crète ، التي احتلها البنادقة عام 1206 ، منذ البداية حكمٌ مباشر لإقطاعية سان ماركو . ولم يستطع الأتراك استخلاصها من أيدي البنادقة إلا في عام 1669 م .

أفادت الحملة الصليبية الرابعة من البنادقة حيث أقامت امبراطورية استيطانية في البحار اليونانية . وبالعكس ، كما رأينا ، أفادت ردّة الإمبراطورية البيزنطية عام 1261 من الجنويين حلفاء اليونان (انظر الفصل السادس ، فقرة 6) .

في عام 1267 منح الإمبراطور البيزنطي ميخائيل پاليولوگوس للمستوطنة الجنوية في القسطنطينية ضاحية پيرا - غَلَطة[1] Péra-Galata التي سرعان ما انتظمت بشكل بلدة ذات حكم ذاتي . وفي أثناء انحطاط الإمبراطورية البيزنطية على عهد أواخر آل پاليولوگوس ، توصلت مستعمرة پيرا الجنوية هذه ، والتي كانت في نفس الوقت مشاكسة من جهة البيزنطيين وعاصية في وجه الوطن الأم ، بدءاً من القرن الرابع عشر ، توصلت إلى احتكار كامل تجارة مدينة القسطنطينية تقريباً .

استحصل الجنويون من البيزنطيين أيضاً على مدينة فوسية Phocée الواقعة على الساحل الإيوني ، المتميزة بوجود مناجم حجر الشبّ فيها (عام 1275 م) ، وكذلك نالوا جزيرة خيو Chio التي لا تقل عن الأولى أهمية لوجود مزارع المصطكاء[2] بها الذي تستخدم عصارته في صنع صمغ الملاط (1304 م) . ولما نزع البيزنطيون حيازة الجنويين عن خيو (عام 1329 م) عاد هؤلاء فاحتلّوها ثانية عام 1346 م .

---

(1) تقع هذه الضاحية على القرن الذهبي المطل على خليج البوسفور ، شمال شرق بيزنطة .
(2) المصطكاء (mastic) : شجر يُستخرج منه اللُّبان .

وأخيراً ، أعطى البيزنطيون لِسبوس Lesbos لأسرة گـاتّيلوزي Gattilusi الجنوية ، التي حازتها من سنة 1355 إلى 1462 . وفي أواسط القرن الرابع عشر ، منحت جمهورية جنوة جزيرتي خيو وفوسية إلى شركة مصرفية ، هي شركة ماهونه la Mahone ، التي استثمرت هاتين المستعمرتين حتى زمن الغزو التركي (1455 في فوسية ، و1566 في خيو) .

وأخيراً ، بين عامي 1266 و1289 م حصل الجنويون من خانات المغول في روسيا الجنوبية على منشأة تجارية في كافا Caffa بالقرم Crimée ، بالقرب من تيودوسيا الحالية . ومن هناك قاموا بتصدير فراء الشمال وقمح أوكرانيا والأسماك المملّحة من بحر آزوف Azov والحرير والتوابل من آسيا الشرقية وحتى الرقيق من القپچاق . وفي القرن الرابع عشر أقاموا وكالات تجارية أخرى في القرم ، وبالتحديد في سولدايا Soldaia (سوداك) ، وصولاً إلى شاطئ كوبان Kouban .

وبالرغم من الخلافات العابرة مع خانات التتار (في عام 1308 ، 1344–1346 م) ، ظلت هذه المستوطنات الجنوية في القرم ، والتي كان يديرها من جنوة مجلس منتدب خاص Officium Gazariae ، حتى عام 1475 م ، وهي السنة التي احتل فيها العثمانيون كافا .

فرسان رودُس

بعد الضياع التام للأرض المقدّسة (عام 1291 م) ، انسحبت منظمة الإسبتارية العسكرية (فرسان مشفى القديس يوحنا الأورشليمي) إلى قبرص . وفي عام 1307–1308 م ، تحت أستاذيّة ف. دى ڤيّاريه F. de Villaret ، استملك الإسبتارية قاعدة إقليمية باحتلالهم جزيرة رودُس Rhodes من البيزنطيين (فتح قلعة رودُس ، 15 آب 1308 م) .

وبنقلهم معقلهم هكذا إلى الجزيرة ، قاموا من هناك في مواجهة العثمانيين ، بدور حرس بحار المشرق . وتحت قيادة معلمهم الأكبر إيليون دى ڤيلنوڤ Hlion de Villeneuve ، ساهموا إلى جانب البنادقة والجنويين والقبارصة في فتح إزمير Smyrne من أيدي الأتراك (28 تشرين الأول 1344) . واحتفظوا بزمام إزمير حتى غزو تيمورلنك الذي انتزع منهم المدينة (كانون الأول 1402) .

تعرّضت رودُس مراراً وتكراراً لغارات المسلمين ، ففي عهد السيّد الأكبر جان دى لاستيك Jean de Lastic ردّ الفرسان ثلاثة هجمات موجهة من مماليك مصر (1440 ، 1442 ، 1444) . وفي عهد أستاذيّة جاك دى ميّيي Jacques de Milly ، لقيت العمارة البحرية المرسلة من قبل السلطان العثماني محمد الثاني إخفاقاً مماثلاً (1455) . وتم أيضاً ردّ هجوم جديد عام 1480 بقيادة السيّد الأكبر بيير دوبوسّون Pierre d'Aubusson .

وفي النهاية ، عام 1522 م ، أفلح السلطان سليمان الأعظم[1] عقب خمسة شهور من الحصار ، في إرغام رودُس على التسليم (22 كانون الأول 1522) . ولكن بسالة السيّد الأكبر فيّيه دى ليل آدام Villiers de l'Isle-Adam في صدّ المهاجمين ، دعت السلطان إلى السماح له بمغادرة رودُس معزّزاً مكرّماً .

كانت تلك هي المرة الثانية التي يُلقى فيها بالإسبتارية في البحر ، فأعطاهم الإمبراطور شارلكان[2] Charles-Quint جزيرة مالطا ، حيث بدأوا فترة جديدة (1530–1798) . وسرعان ما هبّ الأتراك لطردهم من الجزيرة ، ولكن كل الغارات العثمانية والبربرية تحطمت هناك أمام بطولة السيّد الأكبر جان دى لا ڤاليت Jean de la Valette (19 أيار – 12 أيلول 1565) .

كانت تلك في عشية العصور الحديثة الصفحة الأخيرة من تاريخ الحروب الصليبية .

* * *

(1) هو السلطان سليمان خان القانوني ، فاتح هنگاريا وصربيا وأقوى أباطرة عصره .

(2) هو الإمبراطور الجرماني كارل الخامس (يسميه الفرنسيون شارل الخامس ، ومنها تسميته بشارلكان) ، إمبراطور الغرب 1519–1556 م ، وملك إسپانيا 1516–1556 . احتل تلمسان 1530 وتونس 1535 وقصف الجزائر .